



# شهريات

« جبهة الدفاع عن حرية التعبير » ...

ب « التعليمات » الدقيقة ! وإذا اتفق ان يتحالف نظامان أو أكثر، ولو تحالفا مؤقتا، فلا بد أن ينمكس هذا التحالف تنسيقا كاملا بين وفدي الادباء التابعين لهذين النظامين ، حتى ولو كان هذان النظامان ، في ظروف أخرى ، يناسب أحدهما العداة ... واحسب أن الامر كان يظل كذلك لو حدث وانعقد « مؤتمر قمة » للادباء العرب !

واذن ، فلم يكن ثمة سبيل لان تنتج مؤتمرات الادباء العرب ، في ظل الاتحاد العام ، أكثر مما أنتجت ...

ومع ذلك ، فقد كان الوهم يأخذنا أحيانا ، فنحسب أن بوسعنا أن نأخذ من الاتحاد والمؤتمرات ما كنا نحتاج اليه حاجة ماسة عميقة : الدفاع عن حريتنا في التعبير .

في جميع المؤتمرات التي شاركت فيها ، قبل انشاء اتحاد الكتّاب اللبنانيين وبعده ، كنت أبدا أدعو وأطالب بالحرية الفكرية . حتى في المؤتمر الاول للادباء العرب الذي انعقد في مصيف بيت مري في لبنان صيف ١٩٥٤ ، أقيت كلمة قصرتها على موضوع حرية الفكر « الذي هو أخطر موضوع نواجهه » مشيرا الى الارهاب الفكري الذي كان قائما آنذاك في العراق ، داعيا الادباء الى توحيد جهودهم للدفاع عن الحرية الفكرية « التي هي حظههم الاول وقوام حياتهم الفكرية » ( الآداب ، العدد ١٠ سنة ١٩٥٤ ) .

وفي صيف ١٩٥٧ جرت محاولات لاضهاد الفكر والمفكرين في لبنان ، فأصدر ادباء لبنان مذكرتي احتجاج بعثوا بهما الى السلطة اللبنانية ، وكنت من الذين وقعوها دفاعا عن حرية الفكر ( الآداب ، العدد التاسع والعدد الثاني عشر ١٩٥٧ ) .

وفي مؤتمر الادباء العرب الخامس الذي عقد في بغداد عام ١٩٦٥ ، أثيرت موضوع عدد من الادباء والمثقفين العراقيين الموجودين خارج العراق ، كان اسقاط الجنسية العراقية عنهم يحول دون عودتهم الى وطنهم ... وقد طالبت الحكومة العراقية بالغاء ذلك القرار اللانساني والسماح لاولئك المفكرين والمثقفين العراقيين بالعودة الى الوطن ( الآداب العدد العاشر سنة ١٩٦٦ ) . وقد ألغى القرار بعد ذلك فعلا .

ويطول الاستشهاد لو أردت ايراد جميع المواقف التي وقفناها ، باسم اتحاد الكتّاب اللبنانيين غالب الاحيان ، في مؤتمرات القاهرة ١٩٦٨ وبغداد ١٩٦٩ ودمشق ١٩٧١ .. ولكن المثقفين والادباء العرب لن

في الشهر الماضي ، طرح « السفير الثقافي » موضوع « الاتحاد العام للادباء العرب » وما أداه ، أو لم يؤده ، للثقافة العربية المعاصرة ، وذلك بمناسبة انعقاد المؤتمر الثاني عشر للادباء العرب في دمشق .

وبصفتي أحد الذين تابعوا نشاط هذا الاتحاد منذ انشائه ، وشارك في أعمال مؤتمراته جميعا ، اما كأمين عام مساعد للادباء العرب أو كرئيس لوفد اتحاد الكتّاب اللبنانيين حتى المؤتمر العاشر لاتحاد الادباء العرب ، أحب أن أدلي برأيي في الموضوع المشار ، بكل هدوء وموضوعية . لقد أشرت أكثر من مرة في كلمة الوفد اللبناني الى تلك المؤتمرات ، الى أن الاتحاد العام لا يستطيع أن يتخذ لنفسه أكثر من أهداف قليلة محدودة يسعى الى تحقيقها بالوسائل الضئيلة التي يملك ، والتي كانت تحمله دائما على أن يقدم « توصيات » ، مبتعدا عن تقديم « القرارات » ...

واذ يشار اليوم مجددا موضوع الاتحاد العام ، وما يستطيع أن يقدم ، واذا توجه التهم الى امينه العام بالعجز أو التقصير ، فرأيي أننا نرتكب خطأ شنيعا اذا اعتقدنا أن هذا الاتحاد يستطيع أن يأتي بأكثر مما أتى به سابقا في مؤتمراته الاحد عشر ، وما سيأتي به مؤتمره الثاني عشر الحالي ...

لا يستطيع اتحاد الادباء العرب ان يوفر أكثر من التقاء الادباء ، وتعارف من لم يتعارف منهم ، وتداولهم في الشأن العام والشأن الخاص ، وتبادل الشكوى أحيانا أخرى ...

ولا يستطيع الاتحاد أن يقوم بأكثر من تقديم أبحاث ودراسات كلاسيكية ذات موضوعات مقيدة ، موضوعات هادئة غير شائكة ، موضوعات لا تثير حساسية أحد ، ولا تحدث اي احراج لاي انسان !

ذلك ان الاتحاد ، شأنه في ذلك شأن أية مؤسسة تابعة للدولة ، يتكون من اتحادات محلية مرتبطة بنظام الدولة ، وكل اتحاد ، بالتالي ، مرتهن لتوجهات الدولة على الصعيد الثقافي . بل ان كل وفد يتكون مبدئيا من الاعضاء الأكثر ولاء للنظام وارتباطا به !

في كل مؤتمر من مؤتمرات الادباء العرب ، كان كل وفد يأتي مزودا ب « التوجيهات » العامة ، ان لم يكن

ينسوا موقف وفدنا في المؤتمر التاسع للادباء العرب الذي عقد في تونس ، في شهر آذار عام ١٩٧٣ .

لقد خضنا في تونس معركة من اقصى المعارك دفاعا عن حرية الفكر والتعبير . وقد جاء في كلمة الافتتاح التي القيتها باسم الوفد اللبناني « ان الادباء العرب ظلوا طوال الاعوام العشرين التي انقضت ، منذ انعقاد المؤتمر الاول للادباء في لبنان ، يضطهدون في حريتهم ويخضعون لشتى ألوان الارهاب والقمع » واضفت « ان الامانة تقتضي ان نعترف بأن مؤتمرات الادباء العرب قصرت تقصيرا فادحا في تطبيق أهم هدف من أهداف الاتحاد العام للادباء العرب ، وهو الذي تنص عليه المادتان العاشرة والحادية عشرة من أهداف الاتحاد في نظامه الاساسي حين تقرر ان الدعوة الى « العمل على رعاية الاديب وحماية حقه في حياة حرة كريمة ، والعمل على حماية حق الاديب في حرية التعبير في نطاق المثل القومية العربية والانسانية . »

كنا نريد ، في تونس ، ان نضع المؤتمر واتحاد الادباء العام عند مسؤوليتهما، ونحملهما على اتخاذ موقف يؤدي حقا الى حماية حرية الاديب ورفع قمع السلطات عنه ... أجل ، كنا نأمل ان يستطيع المؤتمر اتخاذ موقف واضح مسؤول في قضية حرية التعبير ... ولكننا كنا طوبائيين وواهمين ، لان مقترحاتنا - على اعتدالها وتواضعها - سقطت في التصويت حين عرضت على اجتماع رؤساء الوفود ، وحين اردنا طرح القضية على المؤتمر العام ، رفض رئيس المؤتمر الاستاذ محمد المزالي ، والامين العام للاتحاد ( يوسف السباعي ) السماح لنا بالكلام فانسحب الوفد اللبناني من المؤتمر ، وانسحب معنا خمسة ادباء من تونس والمغرب والبحرين ...

ويعرف المثقفون العرب ان اتحاد الكتاب اللبنانيين اعلن بعد ذلك انسحابه من الاتحاد العام للادباء العرب بكل هيئاته ، ونشر بيانا أكد فيه ان الاتحاد العام للادباء العرب « يكرس نفسه نهائيا مؤسسة رسمية تابعة للحكومات العربية ويجعل اعضاءه مرتبطين حكما بالسلطة ، بل هو جعل من نفسه عميلا للسلطة في وجه الاديب ، يساعدها على قمعها وارهابه ... وان مؤتمرات ادباء العرب اصبحت في شكل نهائي مجمعا للراغبين في السياحة والنزهات والاستمتاع بالضيافة العربية والكرم الحائمي » .

بل لقد بلغت بنا الصراحة في ذلك البيان ان اكدنا « ان كثيرا من الوفود ، بحكم انها وفود رسمية تابعة للحكومات العربية ، تضم بين اعضائها عناصر مخابرات مهمتها وضع التقارير عن نشاط الوفد الذي تنتمي اليه لمزيد من الارهاب والضغط ! »

وحدث بعد ذلك ، وبالبحاح من اتحاد الكتاب الجزائريين ، ان رفضت الامانة العامة للاتحاد استقالة

اتحادنا ، ورفضها كذلك المكتب الدائم ، فلم يجد اتحادنا بدا من العودة عن استقالته استجابة لرغبة الاتحادات الاخرى ، مشروطا تكوين لجنة خاصة تسمى « لجنة حرية التعبير » تكون مهمتها الاساسية المبادرة الفورية للدفاع عن حق اي اديب عربي تتعرض جريته في التعبير لاي اذى او ضيم .

وقد اقر مؤتمر الادباء العاشر في الجزائر اقتراحنا بتأليف لجنة دائمة للدفاع عن حرية التعبير .

لقد سردت هذه التفاصيل كلها لاطرح السؤال التالي: - ما هو وضع الاديب العربي الان ؟ وهل ضمنت لجنة الدفاع عن حرية التعبير حرية تعبيره ؟ وهل زال القمع والارهاب ؟

ان الذي نعيشه ونشاهده ان السلطات والانظمة ماضية الى مزيد من قمع الفكر والمفكرين والادب والادباء، وان الاتحاد العام للادباء العرب اعجز من أن يمارس أي تأثير ، اذا حاول حتما أن يمارس هذا التأثير ، بسبب من تكوينه بالذات ، كما ان اتحادات الادباء العرب عاجزة، للسبب نفسه ، عن أي عمل .

من أجل ذلك ، نطرح اليوم ، اقتراحا ينص على تكوين « جبهة الدفاع عن حرية التعبير » ، داعين المثقفين والمفكرين والادباء ، بصفتهم الشخصية والفردية، للانتساب اليها والعمل في اطارها ، بعيدا عن كل اتحاد رسمي للادباء ، ليتاح لهم ان يتحركوا بمطلق الحرية والاختيار .

ونحن نطرح صيغة أولى « لميثاق شرف » لهذه الجبهة يلتزم به كل اديب يوقع عليه بالنص التالي :

« يتعهد اعضاء جبهة الدفاع عن حرية التعبير بأن يبادروا الى شجب كل محاولة ، في أي بلد عربي ، تستهدف قمع الفكر او ارهاب الادباء او التضيق على حرياتهم ، كما يتعهدون ببذل كل المساعي واتخاذ جميع الخطوات الضرورية للدفاع عن حرية المفكرين والادباء العرب » .

وسندعو قريبا الى اجتماع عام لتدارس هذه الفكرة وانتخاب لجنة تضع نظاما للجبهة للشروع في ممارسة نشاطها .

\*\*\*

وبعد ، فان « الاتحاد العام للادباء العرب » لا يستطيع ان يقدم أكثر مما يفعل في المؤتمرات وخارجها... ولكن المثقف يستطيع ان يفعل كل شيء .

واذا كان من حقنا ان ندعي ان السلطة في البلاد العربية تحول دون ان يتمتع المفكر بحرية التعبير ، فمن واجبنا ان نعترف بأنهم قلة نادرة أولئك المفكرين والادباء الذين ناضلوا دفاعا عن حرية الفكر او قاموا بتضحية من أجل المحافظة على حقهم في تلك الحرية !

سهيل ادريس